

شعر
١

قصائد

سركون بولص

أنا الذي

لا نائمة.

هل مات من كانوا هنا؟

لا كلمة

تردُّ اللسان -

الانتظارُ أم الهجوم؟

أم التملُّصُ من ...

كهذا الصمت

حين أهيل جمرَ تحفُّزي حتى

يبلِّدني التحامُ غرائزي: أرعى كثورٍ في الحقول

أنا نبوخذُ نُصَّر -

تُلقي الفصولُ إليَّ

أعشاباً ملوثةً، وألقي النردَ

في بئرِ الفصول -

لأجتلي سرّاً

يعذبني؟

يعذبني طوال الليل. حتى صيحة

الديك الذبيح.
لأجتلي سرّاً.
وأسمع ضجّة الأكوان؟
(إنه ماتمُ
قالوا لنا: عُرسٌ)
جيوشُ الهمّ تسحبني
بسلسلة
ويستلمُ الزمانُ أعتةَ الحوذيّ -
تسبقنا الظلالُ.
وراءنا:
كلّ الذين، وكلُّ مَنْ

.....

«طال الزمن»، قال الرجل.

.....

شمسٌ على هذا
المشمع فوق مائدتي:
نهارٌ لا يضاويه نهار. كوجه الله
تبقى تحت عينيّ انعكاستها، وتخرقني
الى قاعي كرمح -
إنها شمسي.
وملأى غرفتي، بيتي، كقارب رَعُ
تسافرُ في المتاهة
بالهدايا.

شمسٌ على صحني
وصحني، في الحقيقة، فارغٌ:
حبّات زيتون، بقايا قنبيط، عظمة...
ما زاد عن مطلّوبنا.
تلك البقايا..

تُتفه في كل يوم، قشرة
نلقي بها في لجة التيار - يبقى الصحنُ.

والسكين. تبقى شوكة
أبقى. وجوعي، نُخمتي.

الشمسُ أو ليمونة
تطفو على وجه الغدير المكتسي
بطحالب ألقى الي أكداسها حجراً
فتخفقُ، مرةً، وثبقيقُ الأغوارُ

فقاعاتُ أو هام مبددة
رغابٌ لم تجسدها الوقائعُ
جمجماتٌ لا محل لها من الإعراب
أطماعٌ. دهاليزٌ. وعود بالعدالة؟
(بالسعادة!)
رغوةُ الكلمات في بالوعة المعنى

تواريحُ
وثمة من يُفبركها، ويشطبنا بممحاة -
لنبقى.

....
قال الرجل: «فات الأمل.
زاد الألم»

....
شدوا الضحية بين أربعة
من الأفراس
جامحة.

جنودٌ يسكرون. جنازةٌ عبرت وراء
التل. هل جاء البرابرة القدامى
من وراء البحر؟

هل جاؤوا؟
وحتى لو بنينا سورنا الصيني، سوف يقال: جاؤوا.
انهم منا، وفينا. جاء آخَرُنَا
لِيُضْحِكُنَا، وَيُيَكِينُنَا..
ويبني حولنا سوراً من الأرزاء. لكن، سوف نبقي.

.....
هناك، في بلاد باتاغونيا، ريحٌ
يسمونها «مكنسة الله»

.....
ريحٌ
أريدُ لها الهبوب، على مدار
الشرق، في أسماه الزهراء
والغرب المدجج بالرفاه: أريد أن أختارها
لتكون لي
أن أستضيف جنونها
إذ تكنس الأيام والأسماء
تكنس وجه عالمنا كمزبلة
لتتكشف التجاعيد العميقة تحت
أكداس من الأصباغ
والدم، والجرائم
والليالي.

أقْبلي، يا رِيحُ.
مكنسة الإله، تَقْدِمي.

.....
قال الرجل. قال الرجل

.....
لا ترم في مستنقع حَجراً

ولا تطرق على باب فلا أحد
وراءه غير هذا
الميت الحي الموزع بين بين في أناه، بلا أنا

يأتي الصدى:
هل مات.
من كانوا.
هنا.

جاء الواحد الذي يقول، والآخر الذي يصمت.

الذي يمضي، والآتي من هناك.

بينهما
كلمة، أو نائمة.

بينهما أنهار من الدم جرت، فيالِقُ تسبقها الطبول.
ولم يستيقظ أحد.

بينهما صيحة الجنين على سنّ الرمح
في يد أول جندي أعماه السكر
يخسف باب البيت.

بينهما مستفعلن، أو ربّما متفاعلن؟

لا
ليس بينهما سواي:
أنا الذي

الجئة
عدّبوا الجئة

حتى طلع الفجرُ منهكاً وقامَ الديكُ يحتجّ.
غرسوا في لحمها السنانير. جلدوها بأسلاك الكهرباء.
علّقوها من المروحة.

عندما تعبَ الجلادون أخيراً
واستراحوا، حرّكت الجثة إصبعها الصغير
فتحت عينيها الجريحتين
وتمتت شيئاً.

هل كانت تطلبُ ماءً؟ هل كانت تُريدُ خبزاً يا ثرى؟
هل كانت تلعنهم أم تطالبهم بالمزيد؟

ماذا كانت الجثة تريد.

سيّد
بقيّة شمبانيا
ما زالت تتخثّرُ في كأس
بضع فقاعاتٍ ما زالت تموت

حفلتنا انتهت
عامنا الأخيرُ اختفى
بين دياميس الماضي كأنّه ولا كان

على حافة الكأسِ
منذ الآن:
ذبابة.

يقولُ واحدٌ
ليس سوى واحد يقولُ:
أوشكَ هذا القرنُ أن ينتهي
وأين وصلنا؟
ألفا سنةٍ ألا تكفي

ليأتينا سيّد آخر

أقلّ غباءً

وقسوة، ارحم، إن أمكن

يفتح لنا باباً في هذا الجدار

أو على الأقلّ يُرينا

من أين تبدأ الطريق.

ربّما تغيّرنا. غداً

سنستريح.

يصيح آخر

ليس سوى آخراً يصيح:

لا. لا. لا. لا. لا. لا. لا. لا.

غداً؟ غداً سنغتنال السيّد الآخر

الأقلّ غباءً، وقسوة

الأرحم إن أمكن

إذا جاء.

في قلب الأشياء حجر

كان يبتس

هو الذي اكتشف ذات يوم

أنّ في قلب الأشياء كلّها، حجراً

«أنّ كلّ شيء

تغيّر، تغيّر بمطلقه»

وأنّ «جمالاً مرعباً قد وُلِدَ».

إنه الفصح

في عام ألفين

بعد الذي صار. بعد الذي

كان.

أصبح هذا

الذي نحن فيه

وجه هذا

الزمان السَّفيهِ
تلكاً قليلاً
توقّف هنا.
بعد أن عبرتُ
في طريق الحرير
القوافلُ. بعد البرابرة
الصَّلب - روما، وكم مرّة

(كلماتٌ مهذبةٌ دون معنى)

بعد أن خلط الغدُ أوراقه
بيديّ خبير، لتسقط مملكةٌ وهي واقفة
أو تشيّد أخرى، على عجل، فوق
أنقاضها بقرار من الربِّ
أو جنرالٍ صغيرٍ يَقوم مقامه في حلبة
الرعب.

جاءت مسوخٌ، مرصّعةٌ
بعيون الزجاج، بأزرار لوحة كومبيوترٍ.
وأتاك الغريب. أتى
أبعدُ الأقرباء
ليشرب قهوته مرّةً
في المناحة. صمتُ الجنازات. لا أحدٌ.

إنه الخوف
جاء ليرقص رقصتهُ
في الظلام. وحيث سيعلو السياجُ
وتنضج تفاحة البرق، تعرف أنّ
الرؤوس تدلّت، وحن
القطافُ.

أتخافُ

وأنت الذي حاكها
من كوابيسه ورؤاة وقوعك في «هذه الشبكة؟

أنتَ صانعها. اليومَ. بالأمس. أنتَ
لأنك وحدك حقاً. ووحدهك
حسبَ اتفاقك، أنتَ
ووجدك.

قلت لنا: إنها، وحدها، المعركة.

(لم أكن)
أبحثُ عن شعر
بعد أن ذبحوا الصوتَ
وطاردوا الصدى
كنتُ أريدُ قصيدةً
«كفصح ١٩١٦» لبييتس
في بطنها حجر

لن تلد
وليست حتى مولودة)

ثم كيف تُترجم هذا
Too long a sacrifice
Can make a stone of the hear
الى لغة البُكم والصمِّ في أرض ديزني؟
ومن أين
تبدأ قصة وجدك هذا
بأي تواريخٍ منسيةٍ (من يُورِّخ، ماذا؟)

كنتُ في الحلم
أصعد هذا الدرج
في نهايته فتحةٌ كفم البئر

تطفو بداخلها غيمةً
من وجوه، تقاسيمها حرة كالدخان تسيحُ، وتغلي
ولا تستقر، هناكَ
بأعلى الدرج.

دعه ينحلُّ، تاريخكُ
الحالك الوجهه
هاكرة الخيط تسقط من يد غازلةٍ
نعستْ ثمَّ نامت
على حافة
القبر.

قل:
كلُّ من قلبه حجرٌ
قام من قبره اليوم (أولم يقم أحدٌ)
أنت، أيضاً، رأيت
الوجوه الجليّة عند انسداد المساء
(وأى مصائرٍ منسوجةٍ حولها) وعبرتَ بايماءةٍ...

دعه يشرب ما شاء
من دمك الحلو، حتي يطيح. ودعه يسيحُ
ويهذي، ولا يستتبُّ، هناك على
حلبة الصمت حيث تدبُّ
الوحوشُ.

إذاً دعه يسبتُ، شرنقةً لا تريدُ التدرُّج من دودة القرّ
نحو الفراشة. باركةً، إن شئت. ماذا ستخسرُ؟ بارك.

ورثق شباكه خيطاً فخيطةً، ونم جيداً.

قل: أنا متعبٌ. سأنامُ. ونم...

وغداً، وغداً، وغداً
أَلْقَمِ الْبَحْرَ جَرِيَّتَهُ
واصطد السمكة.

كيس التراب
أمُّ محمد
قارئة الفنجان
المرأة التي تتدلى
من رقبتها النحيلة
ما يبدو للوهلة الأولى
أنه قلادة
وليس سوى كيساً أسود من جلد
قالت

أنه يحتوي على
حفنة من تراب البلاد
«هذا الترابُ
من أرض بغداد يا ولدي»
على دكة حجرية
في الساحة الهاشمية بعمّان
مع آلاف الآخرين
باننتظار أن تحصل على فيزا
الى أي بلد
قالت

أنها عندما
عبرت حدود الوطن
أيقنت انها قد لا تراه في
هذا العالم مرّة
أخرى
لذلك ستحملة
أيما ذهبت كالتيّر. ستحملُ هذا
الكيسَ الأسودَ
من التراب.

من يعرف القصة
أوشكَ القرنُ هذا أن ينتهي *
كيف بدأت، متى تنتهي ضدَّ من هذه المعركة

مُذ بدأت، من أول الفصل. قبلَ الكلام.

من بقوا، قرأوا الكتابةَ على الجدار.

من هاجر، لم يجد الأرضَ الموعودة.

تكلّم، ماذا ستقولُ.
أو لا تتكلّم، واصغ الى الهدير.
الى أيّ صوتٍ يأتيك من هناك.
آنذاك

يمكنك أن ترمي بمفتاحك في هذا البحر
طالما: لا القفل في الباب، لا الباب
في البيت، لا البيت
هناك.

رُز أرضنا المنسية أحياناً.
رُز تاريخنا المهدم: الخاتم الذي
تريدة، موجودٌ هناك.

بئرُ ابراهيم المهجورة، هناك.
المرأة التي عدّك البحث عنها، تنتظرُك هناك.
الآن.

* بل انتهى
رمشة من عين
التاريخ الخائنة
وإذابه اختفى

إفتح يدك. ضغ قلبك في المزاد. واسمع القصة.

اليومُ آت. لا حصرٌ للعلامات.
الشعبُ يطلبُ خبزاً. كلُّ رغيْفٍ رايَةٌ للحداد.

التاريخُ: في حالة الهارب من مدهامةٍ وشيكة.
السبَّاحُ ماهرٌ، لكن التيارُ أقوى.

الحننُ في مجراهُ العميق
يطفحُ حياً على ضفاف الصلوات.

بائعُ الفتاوى وخرداوات اللاهوت
يعبرُ، أرجوانيَّ الثياب من دماء القرايين، خنجرَ التَّقوى
في نسيج أحلامك الباذخة
ويقرعُ طبلتَهُ المليئة بالريح
طوال الليل بين صدغيك، فنشوتة الكبرى:
ألا تنام، أو تستريح.

العالمُ ظواهرٌ ماديَّة لها أسرارُها:
الأسرارُ خبيئةٌ في الكلمات
لكنها لاتروي سوى جزءاً من القصة.

الجمهورُ صدَّقها. القاضي ارتابَ في
تفاصيلها، العالمُ ظنَّها رقصة:

بين الذرَّات والأشجار والقروء. بين البذرة والنملة والمريخ
وأذرة المجرَّات التي تُعانق الغبار.

لا تتكلم، ماذا ستقولُ
أو تكلم، واصغِ الي أيِّ كان.

الشاعر الصينيُّ الميت منذ أكثر

من ألف عام، يهمسُ في أذني:

«من هذا البرج العالي
يُدْهشني أن أرى كم هوجاءً هي العاصفة
المدينة المسوّرة تبدو خاليةً
عندما تسقطُ الأوراقُ»
لي دونغ

ربما هي الريح يا سيدي لي دونغ
جاءت لتسرّد علينا مرةً أخرى، قصة الطوفان.

قبيلتي تعرفها جيداً، جيلاً بعد جيل
تعرفُ من سيّدتها ومن راويها، تعرفُ
أن أبطالها أطيافُ طواحين
حاربها دون كيخوته بضراوة ذات يوم:
اليوم تكفي سَعْلَةُ طفلٍ خلف جدران الحصار، لتنهار.

قبيلتي: هذه الصفحة. هذا القلم. هذ الجدار.

إنه النَّسْعُ الصاعِدُ يا سيدي
في جذع الحياة والشجرة.
لا. إنه بحرٌ من الصمت. وهذا
القاربُ الصغيرُ له قصّة:

صديقي الذي ماتَ بالأمس في المنفى
وهو يُصارغُ الألمَ الأخير
عرّف القصّة من أولها الى آخرها
في لحظة حنينٍ واحدة.

دع التيار يأخذ ما يريد. دعني أبق في مكاني.
إعطني هذه اللحظة، ودعني.
أريدُ أن أسمعَ القصّة.

نصف بيت

نصفُ بيت
لأبي تمام: «ألا ترى
الأرض غضبي، والحصي
قلقٌ...»
ظلَّ يتقلبُ اليومَ كالرَّبْدِ الجريحِ
على ساحلٍ مقفرٍ في رأسي
كأنَّ الخليفةَ
كلَّها تصرخُ اليوم
باحثةً عن شطرها الآخر
وفي غيابِ القافية
نصغي الي هذه الموسيقى
تأتينا من لا مكانٍ مثقلةً
بأعجب الأخبار
أشبه بالأنين، أشبه بدرْدمة خافتة
لبذور يابسة في يقطينةً
حرّكتها رِيحُ الخُماسين:
كأنني استيقظتُ اليوم في بيتي
وقد طار سقفي
لأرى الغيومَ مهرولةً
عبرَ السماءِ تسوقها نُدرٌ مجهولة
لا أهل لي، وليس لي بلدٌ
والأرضُ غضبي
والحصي قلقٌ...

هو لاكوا I
(مسلسلٌ جديد)
خيولي
أخفُّ من الريح

سنايكها تقدحُ الشرارات

إذ ندخل المدن
المعتمّة

الهربُ
تستلقي كالعروس راضخةً
بانظاري

والحتفُ
يتكلم باسمي
فأنا هو لاكو:
سيفُ
في غمده لا يستريح.

ظلةُ
أينما ارتمى
يستنسِلُ غيمةً
من العُقبان الجائعة
تطفو فوق البيوت
المهدّمة

حيثُ يراني
اللاجئونَ في
كوابيسهم بين الخرائب

ويشحدُ الأسرى
حفنةً قشٍ من حصاني.